إسْمَاعِيلُ عليه السلام

#يُحكى_أنّ

بقلم: أمير موسوي
رسوم: مجيد صالح

مرّت سنواتٌ طوال على طرد إبراهيم عليه السلام من مدينته، وها هو الآن يعبر نهراً تلو نهر، وصحراءً تلو صحراء، يدعو الناس إلى عبادة الله الواحد.

جاء يومٌ، وكان إبراهيم عليه السلام مع زوجته هاجر وابنهما إسماعيل وسط جبلٍ أسود، في أرضٍ لا يوجد فيها عشب ولا ماء ينسكبُ، ووهج الشمس على الرؤوس كالحديد المذاب، والرياح الحارّة تصفع الوجوه.

لقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالذهاب إلى هذه الأرض، وأن يترك زوجته وابنه هناك في تلك الصحراء القاحلة، حيث لا ظل ولا ماء.

- إلهي اجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم...

جَلَسَت هاجر وابنها إسماعيل إلى جانب صخرةٍ، وقد نَفَد منهما الماء والزاد. أمّا نبي الله إبراهيم عليه السلام فقد تركهما واختفى وسط الرياح العاتية.

اشتدّ عطش إسماعيل، فبدأ يزحف حول أمّه ويضرب برجليه الصّغيرتين الأرض. قامت هاجر تبحث عن ماءٍ، قطعت المرتفعات سبع مرات راكضةً. وفي كلّ مرة، ترجع والقربة فارغة.فجأةً رأت على قدمي إسماعيل قطراتٍ من الماء تلمع، فمدّت يديها إلى هذه القطرات ووضعت منها على شفتيه. ظلّ الطفل يضرب برجليه الأرض، فتزداد رطوبتها، إلى أن ملأ الماءُ حفرةً صغيرة. ورويداً رويداً أصبحت نبعاً متفجراً، لن ينضب ماؤه أبداً. لا يُبعد اللهُ سبحانه بركاته عن الصالحين.

وبنى أهلُ البادية منازلهم حول ذلك النبع، ونصبوا الخيام على الأعمدة الخشبية. وهزّت النسوةُ قُرَبَ الحليب، ولأنّ هذه الأرض بوركت بسبب قدمي إسماعيل عليه السلام، كان أهل البادية يطعمونه وأمه أولاً من طعامهم.

ومرّت السنون، فأصبح اسماعيل عليه السلام شاباً رشيداً، واشتاق ابراهيم عليه السلام كثيراً إلى رؤيته.

أوحى الله سبحانه إلى ابراهيم عليه السلام في ليلةٍ من الليالي: يا خليل الله، ارجع إلى الصحراء الآن، وضع سكّينك الحادّة على عنق ابنك، لتقدّمه قرباناً في سبيل الله. ستعرف حينها من هو أعزّ على قلبك: أمر الله أو ابنك الشاب.

قال إبراهيم عليه السلام لولده إسماعيل عليه السلام: {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى}.

قال اسماعيل عليه السلام: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}.

أزاح إسماعيلُ عليه السلام الحجارة والأشواك من أمامه، وجثا على ركبتيه. عندها أخرج نبي الله إبراهيم عليه السلام خنجره من غمده، فأوحى الله سبحانه إلى إبراهيم عليه السلام ثانيةً:

{قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} إلى أن قال الله تعالى: {طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}وهذا ما قام به الوالد والابن. فارتفعت جدران الكعبة بيديهما مرةً أخرى. والله يطّلع على ما تخفي وما تُظهر الأنفس.